قراءات في القصة القصيرة المغاربية

مؤلف جماعي

إعداد وتنسيق

رضا الأبيض

تقديم

أحمد السماوي

عنوان الكتاب

قراءات في القصة القصيرة المغاربية

مؤلف جماعي

إعداد وتنسيق
رضا الأبيض

تقديم
أحمد السماوي

الطباعة

مصمم الغلاف
كمال خزان

ردمك:
978-9931-798-43-9

الإيداع القانوني:
أفريل 2021

سعر الكتاب:
1500دج

مقدّمة الكتاب

قراءة في قراءة للأقصوصة

لِمَ طُلِبَ إليّ تقديم القراءات الخمس والثلاثين المضمّنة في هذا الكتاب بعِلْتُ بالأمر، فقلتُ كيف لي أن أجمع بين اختلاف موضوعاتٍ ومناهجَ وأساليبَ وقصديّاتٍ؟ وأنّى لي أن أجد خيطاً ناظماً يجمع شتات القراءات العديدة؟ أيكفي أن يكون النصّ وجيزاً ليكون أقصوصةً؟ أَويكفي أن تكون شخصيّاتُه محدودةً وفضاؤه وزمانُه عناصرَ ومركزُ اهتمامه مفرداً كي يكون أقصوصةً؟ وهل يحظى بشرف الانتماء إلى الأقاصيص إن كانت نهايتُه غالباً غيرَ منتظرة؟

قد تكون هذه كلّها شروطاً لتميز الأقصوصة من غيرها من الأجناس السرديّة. ولكنْ، هل يعني ذلك أنّها شروط حصريّة؟ أليس طول الأقصوصة وحقيقةُ ما تعرضه وبرود الراوي في عرضه هي ثلاثةَ المعاييرِ التي اقترحها إيتيامبل (Etiemble) وتراجع عنها جميعِها؟ ألا يعني ذلك ألاّ قواعدَ للأقصوصة جامعةً مانعةً رغم كونها موجودةً في كلّ مكان، ولكنّه وجودٌ دون جوهر؟[1]

قد يكون هذا الإشكال الأجناسيّ من مشمولات من سهر على اختيار النصوص وتوزيعها بين القرّاء/الباحثين. ورغم ذلك فاستقبال هؤلاء القرّاء النصوصَ على أنّها "أقاصيصُ" لا يمنع من وجوب الاستفسار عن هويّتها فعلاً. وقد لا يكون اختيار هذه النصوص على أنّها "أقاصيصُ" من مشمولات الساهر على اختيارها وحده، بل لمؤلّفيها الدور الأكبرُ في ذلك. فنشرها في مجموعاتٍ أُقصوصيّةٍ يضفي عليها بَعْدُ هذه السمةَ الأجناسيّةَ. ولكنّ القرّاء/الباحثين هم الذين يكون عمليّة التلقّي بوَسائِهم بين استعمال عبارة "القصّة القصيرة" و"القصّة" و"الأقصوصة" فلا يدري المتلقّي أهو مع جنسٍ سرديّ وحيدٍ أم مع أجناسٍ ثلاثة مختلفة.

والحديث عن "القاصّ" يزيد الأمرَ إرباكاً، ما دام القاصّ موجوداً في "الخبر" و"المقامة" و"النادرة" و"السيرة" وجودَه في "الرواية" و"الأقصوصة" و"الخاطرة" و"السيرة الذاتيّة" و"السيرة الذاتيّة الروائيّة". فما الذي يميّز من يقصّ "رواية" ممّن يقصّ "أقصوصةً"؟ أليسا واحداً؟ ويضحي، آنذاك، الارتياحُ إلى مصطلح مضبوط، مطلوباً. فهل يكفي أن يُؤخَذ المصطلح الذي اشتهر وراج حتّى بالرغم ممّا خالطه من اضطرابٍ أم هل ثمّة حاجةٌ إلى ضبط مصطلحين دقيقين للجنس وللقائم به؟

كثيرون استعملوا "القصّة القصيرة" برغم الدعوة التي أطلقها منذ 1982 صبري حافظ. وفي حال اختيار هذا المصطلح، كثيرون يجاوزون صفة "القصيرة" إمّا نسياناً وإمّا تخفيفاً وإمّا إهمالاً. فإذا بهذا الجنس السرديّ يختلط بغيره من الأجناس السرديّة الأخرى. فلا ميْزَ، إذ "المقامة" قصّةٌ و"الرواية" قصّةٌ و"الأقصوصة" قصّةٌ، وهلمّ جرّا. وهنا، تبدو حال "القصّة" تشترك فيها أجناسٌ عديدةٌ كحال "القاصّ" يشترك فيه مؤلّفون متباينون. وعندما نكلّف

1- أحمد السماوي: في نظريّة الأقصوصة، صفاقس، مطبعة التسفير الفنّي، 2003، ص ص 40 – 42.

وجهة النظر "ولم يرَ وقع خطاه" لأحمد بن إبراهيم	تونس	نجاة ذويب	تونس	176
الضمني السّاخر في" الموكب الملكي "لعبد الرحمان الوادي	المغرب	يوسف رحايمي	تونس	185
قراءة في " حماد الذي فاته الأوان" لعبد القادر حميدة	الجزائر	قصي المليح	تونس	194
كهانة المتنبي لعز الدين جلاوي. نصّ سمته المغايرة	الجزائر	حمروني نبيغ	تونس	202
التّجريب في "الشّجرة" لزهرة مراد	تونس	غرابة نور الهدى	الجزائر	208
حركية الابداع في "وقائع سكرى" لعبد الواحد سويح	تونس	وليد خضور	الجزائر	212
الذات تبرّر نفسها في "رجل يبحث عن رأسه" لعبد الحميد عمران	الجزائر	لطفي زكري	تونس	219
فتنة الحكي وأوجاع المعنى في مُستشارة الرئيسِ لحيرة الساكت	تونس	عبد الرؤوف روافي	تونس	231
مؤثّثات السرد وإنتاج المعنى في "الكابوس" لعبد القادر اللطيفي	تونس	عبد الحميد ختالة	الجزائر	242
الكتابة ملاذنا الوحيد. قراءة في " الملاذ الأخير" لفوزي الدياري	تونس	رضا الأبيض	تونس	252
المحتويات				255

مؤشّرات السرد وإنتاج المعنى في "الكابوس" لعبد القادر اللطيفي (تونس)

عبدالحميد ختالة (الجزائر)

قول البدء:

يعدّ السرد مطلقا سواء أكان رواية أم قصة مزيجا من العناصر التي تشكلت بفعل تراكم جملة من الأسباب النفسية والإيديولوجية والاجتماعية وحتى الدينية، وهو بذلك يُقرأ كمنتج ثقافي يندرج ضمن الكثير من الأنساق الثقافية التي تقول في الكثير من الأحايين المسكوت عنه اجتماعيا، وهو إذ ذاك يرفع سقف الرغبة في الكتابة ويحفز كل مؤشّراتها المنتجة للمعنى والمؤطرة للحدث، ومنه فإن القصة في تكثيفها تتوسل تقنيات الحوارية، وهي كما يرى باختين قيمة حوارية تتقاطع فيها الأصوات مما يزيد من انفتاح أفق القراءة إلى مساحات أوسع بغرض تفكيك الملغز في النص وإضاءة المعتم فيه.

نُشرت قصة "الكابوس" للقاص عبدالقادر اللطيفي ضمن المجموعة القصصية "رقصة النائب" عام 2019، وهي في الحقيقة فترة زمنية صعبة جدا ومأزومة، نتيجة التجاذبات الاجتماعية والسياسية والإيديولوجية التي يعيشها العالم ككل والعالم العربي بخاصة، والأكيد أن لمرحلة المخاض السياسي الذي حدث بفعل مخلفات الربيع العربي كما يسمى قد وقعت تداعياتها على الجوانب الثقافية والإبداعية، وطبيعي جدا أن ينتج هذا التدافع الإيديولوجي خطابا قصصيا متحررا جدا من الصمت ومتجاوزا للخوف الراكد على صدور الرعية لردح من الزمن، وهو كفيل بأن يدفع العملية الإبداعية إلى ارتياد مساحات كانت معتمة بدغمائية الطبقة السياسية البائدة.

قصة "الكابوس" لعبد القادر اللطيفي محاولة جادة لسلخ الذوات الاجتماعية عن هويتها المغشوشة، هوية صنعتها المصالح السياسية والمادية وتتكئ على مرجعية دينية هشة جدا، وهي لا تلبث أن تدفع أصحابها باستمرار إلى بؤر الجهل والظلامية، تعمل "الكابوس" على أن تجعلها وجها لوجه مع حقيقتها المنكرة على أرض غير الأرض، يحاورها صوت خفي يقف على مسافة عازلة بينه وبين تلك الذوات المتنوعة أمام ملمح أخروي لا مجال فيه للافتراء.

ملخص القصة:

تقدم قصة "الكابوس" حدثا سرديا عميقا يبدأ بموقف شرس جدا يقفه الراوي إذ يجد نفسه فجأة وسط زحام من البشر تختلط فيه أطياف المجتمع، فالمحشر الذي تصوره القصة فيه الصحفي المثقف والمرأة المومس والمسؤول المطارد من طرف الجميع، في مشهد أقرب ما يكون إلى يوم القيامة حيث يتدافع الناس أمام الحساب العسير، ويزيد التكثيف الحدثي تعقيدا عندما تصف القصة شدة حرارة الشمس والإرهاق الشديد الذي كان يلوح بطول موعد الحشر.

تفتح القصة حوارا حادا بين الراوي الذي لم يحدد معالم الأرض التي تضم هذا الحشد من البشر، وبين المسؤول الأكرش والصحفي المعارض والمرأة البغي، كل طرف يحاول أن يبرئ ذمته من أفعاله السابقة، وهو يعلم أنه

سيقف أمام صاحب الصوت الراعد الذي كان يتوعد الجميع بالحساب الشديد، و قد حدث شبه اتفاق على أن المشهد هو يوم القيامة وانه لا مجال للكذب والمداراة.

وبعد تأزم الحدث ليبلغ ذروته في صراع بين المسؤول الأكرش وأطياف رعيته أو هكذا قدمتهم القصة، يتقدم الراوي من أجل معرفة صاحب الصوت الراعد الذي ملأهم وعيدا وتهديدا، وهنا يربت صديقه على كتفه ليطلب منه الانسحاب من الشارع الذي يملؤه جمع من المتظاهرين، لينتقل الحدث من بؤرة المتخيل إلى مساحة من الواقع، ثم يطمئن السرد أكثر ليعترف الراوي لصديقه بأن كان يعيش في دوامة كابوس حقيقي.

المكان من الإطار الحدثي إلى التأثيث السردي:

لا نختلف عندما نؤسس قراءتنا للقصة على قيمة المكان رغم ما للعناصر الأخرى من أهمية، حيث يؤكد "جون برين j-breen " على أهمية رسم المكان حقيقي في السرد فيرى أنه لا يكفي أن ننشئ في المكان ما يشبه خشبة المسرح يتحرك عليها الممثلون، فتأثير الأمكنة علينا يتباين قوة بين شخص آخر[1]، وهو بذلك يثير قضية مهمة ترتبط بإحساس الإنسان بالمكان المتواجد فيه أمانا واطمئنانا، وهو الذي يحدد شعوره بالسلب والإيجاب.

كما ينبه إلى ضرورة تضامن المكان مع عناصره الأخرى ومدى أهمية ذلك في إظهار وحدة القصة، ولهذا يمنح النقاد أهمية كبيرة للمكان فكلما أسهب القاص في وصف تفاصيل الأمكنة يزيد ذلك من قوة تأثيره في القارئ ويحتج رولان بورنوف بأن المكان ليس عنصرا زائدا وإنما هو هدف العمل الروائي برمته[2].

تستنهض قصة "الكابوس" رمزية المكان في القارئ منذ البدء إذ تزدحم مجموعة من المؤشرات النصية لتصنع غرابة المكان المؤطِر للحدث القصصي، ولعلّ ذلك ما يظهر في المقدمة إذ يقول:

" كَانَ لظى الشّمسِ شديدا. لم أكن أستطيع رفع بصري إلى السّماء من شدّة اللّهب، وكنتُ أراوح مكاني كَمَن يرسف في الأغلال. ومن حين إلى حين تهبّ علينا ريحٌ سَموم عاتية ثمّ لا تلبث، وهذا من غرابة الوضع، أن تتحوّل إلى ريح كأنّها ريح الشّمال.

النّاس في زحام خانق، والأصوات المتداخلة تنقلب شيئا فشيئا إلى دويّ يشبه دويّ الرّعد القادم من مكان بعيد. الأنفاس نتنة ولكنّها من حين إلى حين تمتزج بنوع من العطر أقرب ما يكون إلى امتزاج دخان مركّز لسيجارة بطعم النعناع اليابس، وكنتُ أمسك نفسي عن السّقوط"[3].

إن الذي يجعل المكان الأول هذا يختنق بسؤال القارئ هو هذا الزخم السينوغرافي الذي يحيل على العجائبي، فحرارة الشمس ولهب السماء وزحام الأجساد والأصوات المتداخلة كلها تخرج المكان من المألوف إلى ضده، حيث لا يبقى المكان مجرد أبعاد هندسية بل يحمل قيما حسية وجمالية ويدفع إلى التأزم، وهنا يقول غاستون باشلار:" إن المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو

---

[1] ينظر: فوزية لعيوس، التحليل البنيوي للرواية العربية، ط3، دار صفاء، عمان، 2011، ص 237.

[2] نفسه، ص 238.

[3] عبد القادر اللطيفي، قصة الكابوس.